بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾ 15 رَبِيعٍ الثَّانِي 1445هـ

عِبَادَ اللهِ: إِنَّ السُّخْرِيَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَرَضٌ عُضَالٌ، وَدَاءٌ يُفَرِّقُ الْقُلُوبَ، وَيُوغِرُ الصُّدُورَ، وَيُشْعِلُ نَارَ الْفِتَنِ، وَيُجَرِّئُ السِّفْلَةَ مِنَ النَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِ الْعِبَادِ، وَالتَّطَاوُلِ عَلَىٰ مُسَلَّمَاتِ الشَّرْعِ وَقَوَاطِعِهِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

إِنَّ مِنْ حُقُوقِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْضِهِمْ عَلَىٰ بَعْضٍ أَنْ ﴿لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ﴾ بِكُلِّ كَلَامٍ، وَقَوْلٍ، وَفِعْلٍ دَالٍّ عَلَىٰ تَحْقِيرِ الْأَخِ الْمُسْلِمِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ حَرَامٌ لَا يَجُوزُ، وَهُوَ دَالٌّ عَلَىٰ إِعْجَابِ السَّاخِرِ بِنَفْسِهِ، وَعَسَىٰ أَنْ يَكُونَ الْمَسْخُورُ بِهِ خَيْرًا مِنَ السَّاخِرِ، كَمَا هُوَ الْغَالِبُ وَالْوَاقِعُ، فَإِنَّ السُّخْرِيَةَ لَا تَقَعُ إِلَّا مِنْ قَلْبٍ مُمْتَلِئٍ مِنْ مَسَاوِئِ الْأَخْلَاقِ، مُتَحَلٍّ بِكُلِّ خُلُقٍ ذَمِيمٍ؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ».

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ قُدَامَةَ رَحِمَهُ اللهُ فِي «مُخْتَصَرِ مِنْهَاجِ الْقَاصِدِينَ»: السُّخْرِيَةُ: هِيَ الِاحْتِقَارُ وَالِاسْتِهَانَةُ، وَالتَّنْبِيهُ عَلَىٰ الْعُيُوبِ وَالنَّقَائِصِ عَلَىٰ وَجْهٍ يُضْحَكُ مِنْهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: مَا أَقْبَحَ هَذَا الْخُلُقَ الدَّنِيءَ، وَمَا أَبْشَعَ هَذِهِ الْخَصْلَةَ الذَّمِيمَةَ، الَّتِي لَا يُصَابُ بِهَا إِلَّا ذَوُو الْقُلُوبِ الْمَرِيضَةِ، وَالْفِطَرِ الْمَنْكُوسَةِ، وَيَكْفِي هَذَا الْخُلُقَ قُبْحًا وَسُوءًا أَنَّهُ مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ؛ فَالْمُنَافِقُونَ هُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ سُخْرِيَةً بِالرُّسُلِ وَأَتْبَاعِهِمْ، وَبِمَا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مِنَ الْحَقِّ وَالْهُدَىٰ، قَالَ تَعَالَىٰ فِي وَصْفِهِمْ: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا

نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ» عَلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾، وَهَذَا جَزَاءٌ لَهُمْ عَلَىٰ اسْتِهْزَائِهِمْ بِعِبَادِهِ، فَمِنِ اسْتِهْزَائِهِ بِهِمْ أَنْ زَيَّنَ لَهُمْ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الشَّقَاءِ وَالْحَالَةِ الْخَبِيثَةِ، حَتَّىٰ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، لَمَّا لَمْ يُسَلِّطِ اللهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِمْ، وَمِنِ اسْتِهْزَائِهِ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ يُعْطِيهِمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ نُورًا ظَاهِرًا، فَإِذَا مَشَىٰ الْمُؤْمِنُونَ بِنُورِهِمْ طُفِئَ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، وَبَقُوا فِي الظُّلْمَةِ بَعْدَ النُّورِ مُتَحَيِّرِينَ، فَمَا أَعْظَمَ الْيَأْسَ بَعْدَ الطَّمَعِ ﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ﴾ الْآيَةِ. قَوْلُهُ: ﴿وَيَمُدُّهُمْ﴾ أَيْ: يَزِيدُهُمْ، ﴿فِي طُغْيَانِهِمْ﴾ أَيْ: فُجُورِهِمْ وَكُفْرِهِمْ، ﴿يَعْمَهُونَ﴾ أَيْ: حَائِرُونَ مُتَرَدِّدُونَ، وَهَذَا مِنِ اسْتِهْزَائِهِ تَعَالَىٰ بِهِمْ.

عِبَادَ اللهِ: السُّخْرِيَةُ بِالْمُؤْمِنِينَ مَرَضٌ يَنِمُّ عَنْ كِبْرٍ وَغُرُورٍ فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ، فَلَا يَرَىٰ لِإِخْوَانِهِ عَلَيْهِ حَقَّ التَّوْقِيرِ وَالِاحْتِرَامِ، بَلْ يَأْنَفُ مِنْ أُخُوَّتِهِمْ وَيَأْبَىٰ مُجَالَسَتَهُمْ تَكَبُّرًا وَغُرُورًا. أَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ» قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ». فَالسُّخْرِيَةُ وَالِاسْتِهْزَاءُ بَابٌ مِنَ الشَّرِّ عَظِيمٌ؛ حَيْثُ يَفْتَحُ أَبْوَابَ الْهَمْزِ وَاللَّمْزِ، وَالْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ، وَيَمْلَأُ الْقُلُوبَ ضَغَائِنَ وَأَحْقَادًا وَعَدَاوَاتٍ، وَيُسَبِّبُ الْخُصُومَاتِ وَالنِّزَاعَاتِ. فَحَرِيٌّ بِكُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ، وَيَتَوَقَّىٰ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَيَحْذَرَ سَبِيلَ الْهَمَّازِينَ اللَّمَّازِينَ، الَّذِينَ يَسْخَرُونَ مِنْ عِبَادِ اللهِ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِيَنْجُوَ مَعَ النَّاجِينَ، وَلَا يَهْلِكَ مَعَ الْهَالِكِينَ. أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا وَاللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَذَا

رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ لَا يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الْأَرْضِ مِثْلَ هَذَا»، وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «رُبَّ أَشْعَثَ، مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ».

وَمِنْ خُطُورَةِ السُّخْرِيَةِ مِنَ النَّاسِ لِعَيْبٍ فِي خِلْقَتِهِمْ وَصُورَتِهِمْ مَا أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَصَحَّحَهُ الْعَلَّامَةُ الْأَلْبَانِيُّ رَحِمَهُ اللهُ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، تَعْنِي: قَصِيرَةً، فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» قَالَتْ: وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَانًا، فَقَالَ: «مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا»، وَأَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنِ الْمَعْرُورِ بْنِ سُوَيْدٍ قَالَ: مَرَرْنَا بِأَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بِالرَّبَذَةِ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ وَعَلَىٰ غُلَامِهِ مِثْلُهُ، فَقُلْنَا: يَا أَبَا ذَرٍّ لَوْ جَمَعْتَ بَيْنَهُمَا كَانَتْ حُلَّةً، فَقَالَ: إِنَّهُ كَانَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ إِخْوَانِي كَلَامٌ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أَعْجَمِيَّةً، فَعَيَّرْتُهُ بِأُمِّهِ، فَشَكَانِي إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَقِيتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ سَبَّ الرِّجَالَ سَبُّوا أَبَاهُ وَأُمَّهُ، قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوَانُكُمْ، جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُونَ، وَأَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ».

وَالسُّخْرِيَةُ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ سِمَاتِ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ، وَقَدْ نُهِينَا عَنِ التَّشَبُّهِ بِهِمْ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: هَذِهِ أَيْضًا مِنْ صِفَاتِ الْمُنَافِقِينَ، لَا يَسْلَمُ أَحَدٌ مِنْ عَيْبِهِمْ وَلَمْزِهِمْ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ، حَتَّىٰ وَلَا الْمُتَصَدِّقُونَ يَسْلَمُونَ مِنْهُمْ، إِنْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِمَالٍ جَزِيلٍ قَالُوا: هَذَا مُرَاءٍ، وَإِنْ جَاءَ بِشَيْءٍ يَسِيرٍ قَالُوا: إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَدَقَةِ هَذَا. اهـ

وَالسُّخْرِيَةُ تُمِيتُ الْقَلْبَ وَتُورِّثُهُ الْغَفْلَةَ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ نَدِمَ السَّاخِرُ وَتَحَسَّرَ عَلَىٰ فِعْلِهِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَاحَسْرَتَىٰ علَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾.

وَالسُّخْرِيَةُ مِنَ النَّاسِ عَاقِبَتُهَا وَخِيمَةٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، فَفِي الدُّنْيَا قَدْ يُبْتَلَىٰ السَّاخِرُ بِمِثْلِ مَا سَخِرَ بِهِ، وَفِي الْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾، وَقَالَ ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾، وَالسَّاخِرُ بَعِيدٌ عَنْ رَبِّهِ، قَرِيبٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، قَالَ تَعَالَىٰ عَنِ الْكُفَّارِ: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا: التَّحْذِيرُ مِنَ السُّخْرِيَةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ بِالضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ، وَالِاحْتِقَارِ لَهُمْ، وَالْإِزْرَاءِ عَلَيْهِمْ، وَالِاشْتِغَالِ بِهِمْ فِيمَا لَا يُغْنِي، وَأَنَّ ذَلِكَ مُبْعِدٌ مِنَ اللهِ ﷻ .اهـ

وَمِنْ صُوَرِ السُّخْرِيَةِ: السُّخْرِيَةُ بِالْعُلَمَاءِ وَالْمَشَايِخِ، وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالْخَيْرِ، وَلَمْزِهِمْ بِالْأَلْقَابِ السَّيِّئَةِ، وَافْتِرَاءِ الْقَصَصِ الْمَكْذُوبَةِ عَلَيْهِمْ، وَهَذَا مِنَ الْمُنْكَرَاتِ الْعَظِيمَةِ، قَالَ اللهُ ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾. قَالَ الْعَلَّامَةُ السَّعْدِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «تَفْسِيرِهِ»: أَيْ: بِغَيْرِ جِنَايَةٍ مِنْهُمْ مُوجِبَةٍ لِلْأَذَىٰ، ﴿فَقَدِ احْتَمَلُوا﴾ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ، ﴿بُهْتَانًا﴾ حَيْثُ آذَوْهُمْ بِغَيْرِ سَبَبٍ، ﴿وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ حَيْثُ تَعَدَّوْا عَلَيْهِمْ، وَانْتَهَكُوا حُرْمَةً أَمَرَ اللهُ بِاحْتِرَامِهَا. اهـ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ».